الفصل الثالث

(الادب الشعبي معروف المؤلف)

السيرة الشعبية

يزخر الادب الشعبي التركماني بالسير الشفاهية والمدونة التي تصور حياة الابطال الذين ضحوا بانفسهم من اجل تحقيق مثلهم العليا في سبيل الحب او القبيلة او الشعب او الانسانية .

والسيرة ملحمة شعرية يتخللها النثر ـ اذا كانت مدونة ـ موضوعها الظاهر هو الفروسية او البطولة لكنها كثيرا ما تدور حول تاريخ واقعي لاصحابها [1] وهي تؤرخ المراحل المختلفة التي مر بها البطل من التكوين الى الفروسية ، ثم الجانب الاسطوري والملحمي فيها . وقد كان هذا النوع من الادب الشعبي معروفا لدى التركمان قبل الاسلام حيث كان شعراء اواسط آسيا المعروفون بـ (باقصى) ينظمون سير الابطال في قصائد طويلة يسمونها «اوغوزنامة» [2] وبعد دخول التركمان في الاسلام تأثر الادب التركي بالادبين العربي والفارسي ونشأ تحت تأثير هذين الادبين ما يسمى بـ «ادب الديوان» في القرن الثاني عشر . غير ان شعراء القرى والقصبات انعزلوا عن الادب

---

١ ـ احمد رشدى صالح ـ فنون الادب الشعبى ج٢ص٦٣

٢ ـ تورك انسيكلوبه‌ديسى ـ ج٤ ص٥٤

الجديد وتابعوا طريقة نظمهم على الاسلوب التركي القديم ، فنشأ هذا الضرب من الادب الشعبي الذي سمي بـ (ادب العشق) بعد القرن الرابع عشر . حيث اصبح ذات ملامح واضحة بعد القرن الخامس عشر بفضل الشاعر التركي (اوزان) الذي عاش في هذا القرن [1] وعمل الشعراء الاخرون الذين جاؤوا بعده على تطويره وما ان اطل القرن السابع عشر حتى تكامل هذا النوع من الادب ، واصبح فنا مهما من فنون الادب الشعبي . ويمكن القول ان القرن السابع عشر كان عصر ازدهار لشعراء فن السيرة [2] ويظهر من ذلك ان هذا الفن قد تكامل خلال الفترة الواقعة بين القرن الخامس عشر والسابع عشر حيث ان اعظم السير قد كتبت فيها مثل كوروغلو ، آرزى قنبر ، اصلى كرم تبردار ، عاشق غريب وغيرها . ولم يشهد القرن الثامن عشر والتاسع عشر اى تقدم يذكر في هذا الفن سوى بعض الشعراء الذين اصطبغ شعرهم بالطابع الديني امثال شيخ غالب (١٧٥٧ـ ١٧٩٨) وسيراني (١٨٠٧ـ١٨٦٦) ولما اطل القرن العشرون انزوى فن السيرة الى زوايا المجالس الخاصة والتكايا وحلقات الذكر في القرى والقصبات . ولا نعرف شيئا عن الشعراء التركمان الذين اتجهوا نحو فن السيرة غير انني اعتقد بان بطل سيرة (آرزى قنير) كان شاعرا تركمانيا عاش في العراق ايام الدويلات التركمانية خلال القرن السابع عشر وكان معروفا باسم (قنبر) وتمثل السيرة ملحمة تركمانية قيمة تظهرنا على حياة الفلاحين الوجدانية في القرى . واما من حيث الاسلوب والموضوع فالاغاني ذات اللهجة التركمانية ، وكرم الضيافة ، وذهاب الفتيات

---

١ ـ نفس المصدر

٢ ـ آگاه‌سرى‌لاوند ـ تورك ادبياتى ص ١٤٣

لاستقاء الماء من الساقية ، والحوادث الاخرى ، تظهر بجلاء عادات التركمان وتقاليدهم من فروسية العاشق وتضحية الفتاة ووفائها . وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه عن كونها سيرة تركمانية انتقلت من العراق الى الاقاليم التركية الاخرى . وفي اواخر القرن الثامن عشر توفي في كركوك الشاعر التركماني «محمد نوروزى» الذي كتب سيرة «يوسف وزليخا» نظما ، مستوحاة من قصة سيدنا يوسف التي ذكرت في القرآن الكريم ، وهي تقع في (٨٤٠٠) بيت تقريبا ، ويوجد منها عدة نسخ مخطوطة في كركوك وانحائها . اما النسخة التي اطلعت عليها فانها مكتوبة في سنة (١٢٣٦) الهجرة [١] . ويظهر «نوروزى» خلال الملحمة متأثرا بالقصة القرآنية على الرغم من انه قد اضفى عليها جوا اسطوريا ... عندما ذكر بان والد يعقوب ، دعا الرب ليجعل من ابنه «عيص» نبيا لانه أحق من اخيه يعقوب «والد يوسف» بالنبوة . الا ان حادثة صيد تؤدى الى ان يصبح «يعقوب» نبيا بدلا منه . وقد ذكر الشاعر التركماني دادال اوغلو (المتوفى عام ١٨٦٥م) كشاعر من شعراء فن السيرة [٢] ، الا اننا لم نجد من بين الشعراء التركمان من اتجه نحو فن السيرة بعد ذلك . غير انه وجد بعض الرواة الذين كانوا يتغنون باشعار السير الاخرى وذلك في اوائل القرن العشرين امثال كورعابش (المتوفى عام ١٩١١) في كركوك . وقنبر علي (المتوفى عام ١٩٠٦) في قرية امام زين العابدين التابعة لداقوق حتى يروى عنه ان البلابل كانت تحط على سازه عندما كان يتغنى بتلك الاشعار لجمال صوته وحسن ادائه . وخليل احمد (المتوفى عام ١٩١٧) في بشير وآخرون غيرهم . وتعتبر هذه

١ ــ نسخة المؤرخ التركماني العقيد المتقاعد شاكر صابر الضابط .
٢ ــ آكاه سرى لاوند ــ تورك ادبياتى ص١٦٧

الملاحم بشابة التاريخ الواقعي لفترة الاقطاعية التي مر بها المجتمع التركماني اضافة الى انها تشكل ثروة ادبية عظيمة ومصدر الهام لكثير من الكتاب والشعراء وقد نسجت العبقرية الشعبية كثيرامن القصص والاساطير حول ابطال هذه السير بحيث اضحت هي نفسها في عداد الاساطير [1] .

ومما هو جدير بالملاحظة ان شعراء السير العاطفية هم من اصحاب الطرق الصوفية كالبكتاشية والقزلباشية وغيرها . لذلك فان اشعار هذه السير تقرأ بكل اجلال واحترام من قبل اتباع ومريدى هذه الطرق حتى الآن ، حيث انهم طوروا الحب الواقعي خلال السيرة الى حب الهي صوفي بعيد عن الشهوات . لانهم ادركوا الحب على نحو جديد يتمثل فيه الزهد في المتع الجسدية . وهذا مما قرب ابطال السير من نفوس المتصوفة وجعله عندهم مثالا للزاهد عن الدنيا في سبيل عاطفته تلك العاطفة التي يؤمن المتصوفة بقداستها لانها توصلهم عن طريق القلب الى واجب الوجود .

وتتنوع مواضيع هذه السير : فمنها البطولية من اجل تحرير الشعب من المستبدين والظالمين ـ كوروغلو . تبردار ـ ومنها العاطفية التي تعبر عن التجربة الخاصة مرتبطة بالتجربة العامة متضمنة صورا عن حياة الفلاحين في تلك الفترة ضمن اطار من الحب المتسامي والتضحية والفداء ـ ارزى قنبر ، اصلى كرم ، يوسف زليخا ، ليلى ومجنون ـ وتمتاز هذه السير بانها تصور الحياة كفاحا : بين القيم القديمة البالية والقيم الجديدة . او كفاح الانسان من اجل تحقيق حياة افضل في اسلوب بسيط

---

١ ـ ولا زال الرواة يتداولون هذه السير ويروونها في مقاهي كركوك وفي المناسبات الدينية فى زوايا التكايا فى القرى والقصبات .

وحوادث بعيدة عن التعقيد رغم انها تحتضن عوالم كثيرة واجيالا مضت ، ساردة قصة الانسانية منذ الازل عن الحياة والحب والسحر والموت .

وتشكل الرباعيات العمود الفقري لمنظومات هذه السير وان تخلل بعضها قصائد مثنوية طويلة . وقد تم طبع جميعها في تركيا كما طبع البعض منها في اذربيجان وايران واقاليم وسط آسيا التركمانية وسوف نورد (كوروغلو) و (آرزى قنبر) كمثالين لفن السيرة في الادب الشعبي التركماني .

كوروغلو

ان تاريخ الشعوب غني بالبطولات الاسطورية التي ابداها ابطال شعبيون في كفاحهم من اجل الشعب ضد الاعداء في الخارج والمستبدين في الداخل .

وقد احب التركمان اولئك الابطال الذين كافحوا من اجل تحريرهم من الظلم والاستغلال واتخذوا منهم رمزا للحرية والسعادة وادخروا لهم في قلوبهم اسمى آيات الحب والاكبار . ومن الابطال الذين ابدوا بسالة لتحرير التركمان وتخليصهم من شر المستبدين كوروغلو . ويتداول في العالم التركي (٢٤) سيره عن بطولة كورغلو الذي كان اسمه (روشن على) . [1]

تقع حوادث القصة في القرن السابع عشر ايام السلطان محمد الرابع (١٦٤١–١٦٩٢) ويشتهر كوروغلو في بعض الروايات بأسم (كوله اوغلو) اى (ابن الخادم) وتختلف الروايات

١ – عبدالرحمن نيسارى – تورك ادبياتى ص٦٢
وآگاه سرى لاوند – تورك ادبياتى ص١٠٦

عن مصير هذا البطل فقد ذكر بعضها بانه تنعم بالحياة الى ان توفي قرير العين بين اتباعه واولاده بينما يرى البعض الاخر بان الاقطاعي الذي كان يحاربه ليخلص الناس من شروره قد دبر حيلة ـ بالتعاون مع السلطات العثمانية ـ فقبض عليه ثم اعدم مع اتباعه . ومهما يكن من امر فان جميع المصادر قد ذكرت بان وفاته كانت سنة (١٦٥٠) الميلادية [١] .

وتتلخص قصة كوروغلوفي : ان احد الاقطاعيين غضب على (سائس) من خدمه وامر بقلع عينيه ثم اركبوه حصانا أجرب واطلقوه في الجبل . وقد صادف الكثير من العقبات والمشاق الى ان وصل الى قريته وقص مأساته على ابنه الذي كان يبلغ الخامس عشر من عمره وطلب منه ان يثأر له عندما يبلغ اشده . وبر الشاب بوعده لابيه ولهذا سمي بطل الملحمة (كوروغلو) اي (ابن الاعمى) وكان له صديق بشابة مساعد اسمه (ايواز) وقد اشتهر كوروغلو بالعزف على الـ (الساز) وترتيل الشعر كما انه اتصف بحدبه على الفقراء والمظلومين وكان سيفا مسلطا على الظالمين والمستبدين .

انني ابن الاعمى سلطان الجبال
الذي يتعلم الكفاح من الرياح
واحطم رؤوس الطغاة
عجل ايها المعلم فى اصلاح سازى (٢)

ووفاء لوصية ابيه جاء الى قرية ذلك الاقطاعي الذي سمل عيني والده ، وحاربه حتى انتصر عليه ثم قتله وعلق رأسه على رمح جعله على رابيه ، لكي يراه الناس من بعيد . واستولى على

١ ـ تاريخ نعيما وتورك مشهورلرى
٢ ـ الساز : آلة موسيقية شعبية تركمانية .

املاكه واقام فيها وعامل الناس بكل عدل وانصاف ... فكثر اتباعه ، وتقاطر الناس للانضمام الى معيته ، فاصبح خطرا يهدد الدولة العثمانية . وعندما اعلن (ابازا حسن باشا) والي قسطموني العصيان على السلطات العثمانية انضم اليه كوروغلو مع اتباعه فاضحوا مصدر ازعاج للسلطات المذكورة . مما حدا بها الى ارشاء أحد اتباعه للغدر به ، وهكذا فعندما كان نائما في احدى القرى باغتته جماعة من اتباع (شسى باشا) بتدبير من ذلك الخائن ... فأصيب بطلقة في رجله ـ وكان كوروغلو لا يزال يحارب بالسيف . ويرى في ذلك مدعاة الفخر وعنوان الشجاعة ـ وفي ذلك يقول :

عندما تم صنع (مارتين) ضاعت مقاييس الشجاعة .
وآن للسيف ان يصدأ في غمده .
فتعال يا (ايواز) لقد ضاعت شهرتنا .
وسالت مثل نهر (طونا) دماؤنا .

ثم القى القبض عليه وعلى خمسة من اتباعه البارزين كما قضي على البقية الباقية من اعوانه ، وهكذا قبضوا عليه بكل خسة واوثقوه واعوانه الخمسة وبعثوا بهم الى استنبول ـ مقر السلطنة ـ وعندما جيء بهم الى حضرة السلطان انبهم على اعمالهم ، ولكن كوروغلو قال باباء وبجرأته المعهودة بانهم ليسوا قتلة ولم يسيئوا الى احد بل كانوا اناسا ارادوا اعادة الحق الى نصابه والانتقام للفقراء من الظالمين والمستبدين :

نحن لم نسلب القرى
ولم نكن قطاع طرق
وانما قاومنا الظالمين
فلتكن مشيئة الله ربنا

فانا عدو الظالمين
وضرغام المساكين
فاذا كان هذا مقدرا لنا
فلنكن مشيئة الله ربنا

فاصدر السلطان (فرمانا) باعدامهم ولما علم بذلك كوروغلو اوصى اعوانه الخمسة بان لا ينسوا الشهادتين وان يتجلدوا لمجابهة الموت . وهكذا فقد تم اعدام كوروغلو في احد ميادين استنبول ، كما اعدم اعوانه في مكان آخر من تلك المدينة . وبذلك اسدل الستار على حياة هذا البطل الانسان بالصورة التي سلفنا بعد ان ترك لنا ذكرى عبقة عن حياته وبسالته النادرة .

آرزى قنبر

اعرض اولا ملخص الملحمة ثم نبدأ بمناقشتها :

«كان قنبر احد ابناء تاجر خراساني ، فاراد يوما اداء فريضة الحج فأخذه معه . وفي الطريق انبرت عصابة من قطاع الطرق فقطعت السبيل على القافلة ، وبعد معركة قصيرة قتل اللصوص اكثر الاشخاص ونجا بعضهم بعد ان تم اغتصاب اموالهم وما لديهم من النقود . وقد ساعد احد خدم التاجر الخراساني ابن سيده (قنبر) على النجاة بعد ان جرح في المعركة المذكوره . ويصادف ان يسر احد اشراف بلدة قريبة من تلك المنطقة فيأخذ (قنبر) الى بيته ويتخذه ولدا لانه لم يكن له ولد ، بل كان له فتاة صغيرة في سن قنبر تسمى «آرزى» ويترعرع الطفلان في احضان البيت السعيد الى ان يبلغا سن الشباب ... ويحس كل منهما بالحب تجاه الآخر غير ان والد الفتاة يتوفى في هذه الاثناء فتمانع الام في

تزويج الفتاة من قنبر ، فيهيم على وجهه في الجبال والتلال ويحاول المحسنون اقناع الام بهذه الزيجة الا انها تصر على رأيها وتزوج ابنتها بشخص آخر . الا ان (آرزى) تتجاهل الزوج الجديد لانها احبت (قنبر) واخلصت له واقسمت على الوفاء لهذا الحب ، فيتوفى زوجها فتسنح لها الفرصة لكي تعود الى قنبر ، فتلقاه في منتزه كان يتغنى فيه بحبها ووفائها ، فتلقى بنفسها في احضانه وعندما يراها (قنبر) لا يصدق عينيه ... فيغيبان في قبلة طويلة لا يستفيقان منها . وعندما تعلم الام بعودة الفتاة تسرع الى المنتزه لتحول بين العاشقين ولكن هيهات فقد تم للعاشقين السعادة الابدية ، وكانما قد اقسما على ان لا يفترقا الى الابد . وعندما ترى الام (آرزيا) في احضان (قنبر) تهم بسحبها لتفرق بينهما ، الا ان القدرة الالهية تضع سدا حائلا بينها وبين تحقيق امنيتها اذ تفيض المياه على شكل دائرة حول العاشقين مما تحول دون عبورها . فلما ترى الام ذلك ، تموت من الاسى بينما تتحول روح العاشقين الى حمامتين تطيران في الفضاء الرحيب» .

اذا القينا نظرة على هذه الملحمة فاننا نجد النزعة الاسلامية اول ما يجابهنا فيها ، ويستدل من ذلك بانها قد كتبت او تداولها الناس بعد قبول التركمان الاسلام دينا لهم . ولم تذكر المصادر الاذربايجانية شيئا عن هذه الملحمة [1] ، اما المصادر التركية فانها اغفلت ذكرها حتى دائرة المعارف التركية التى تعتبر من اعظم المصادر شأنا ذكرت «ان هذه الملحمة تشبه الملاحم الشعبية الاخرى مثل ليلى ومجنون ، وطاهر وزهرة وغيرها او انها قصة

---

1 ــ لم تذكر اهليماه آخوندوف التي جمعت الملاحم الشعبية الاذربايجانية فى مجلدين شيئا عنها في كتاب « آذربايجان خلق داستانلارى » ــ آذر نشر سنة ١٩٦١ .

تركية قديمة [1] ولم تذكر شيئا عن تاريخ الملحمة او زمان انشائها . وقد صدر في تركيا كراس صغير فقط يحوى الملحمة وهو من الطبعات الشعبية الرخيصة التي لا تحتوى اية مقدمة[2]. ويستدل من العادات او الحوادث الدائرة في الملحمة بانها ملحمة تركمانية تم انشاؤها في العراق على عهد الدويلات التركمانية الآق قويونليه او القره قويونليه وذلك في القرن الخامس او السادس عشر اذ ان حوادث الملحمة واضطراب حبل الأمن واستفحال امر قطاع الطرق تشير الى زمن انشائها على عهد هذه الدويلات التي اضطربت فيها الامور ، وكثرت المنازعات حتى بات الناس لا يأمنون على حياتهم ، وانقطعت السبل المؤدية الى بيت الله الحرام . واذا اخذنا بالرأى القائل بأن قنبر كان احد ابناء تاجر خراساني [3] فلابد انهم مروا بالعراق في طريقهم الى الحج وجرى ما جرى لهم وبقى (قنبر) في العراق ونشأت الملحمة . ومن ناحية اخرى فأن بقاء (آرزى) عذراء في الملحمة يشير الى تأثر هذه الملحمة برائعة فضولي البغدادي (ملحمة ليلى ومجنون) التي انشأها سنة (٩٦٣ هـ ـ ١٥٥٦ م) وهي السنة التي مات فيها [4]. كما ان ذلك يشير من جهة اخرى الى انها قد انشئت بعد ملحمة فضولي البغدادي .

كما ان المنظومات التي يتغنى بها التركمان في العراق هي باللهجة التركمانية الصميمة المتداولة في العراق . ولجميع هذه المنظومات طابعها التركماني من حيث الاداء واللحن هذا من جهة،

١ ـ تورك انسيكلوپه‌ديسى ـ ج٣ ص٤٣٠
٢ ـ محرم زكى گوركونال ـ آرزوايله قبر . استنبول ١٩٤٩
٣ ـ انظر مقدمة الملحمة
٤ ـ حسين مجيب المصرى ـ تاريخ الادب التركي ص٢٤٠

ومن جهة اخرى فان اسمي البطلين من الاسماء التي لا يستعملها الاتراك ولا الاذربايجانيون ، وانما هي من الاسماء التركمانية المحبوبة التي يكثرون من تسمية البنات والبنين بهما .

وعلى هذا ، فان بطل السيرة (قنبر) شاعر تركماني عاش في العراق خلال القرنين السادس والسابع عشر وانشأ السيرة على عهد الدويلات التركمانية في العراق . ومما يؤسف له اننا خلال دراستنا لفنون الادب الشعبي التركماني لم نعثر على اية مخطوطة عن الملحمة ، رغم التنقيبات الكثيرة في التكايا الموجودة في القرى والقصبات التركمانية . غير اننا وجدنا بعض المقطوعات الشعرية من هذه السيرة منها ضياع سوار (آرزى) وعثور قنبر عليها في الساقية التي كانت (ارزى) تستقي منها والرباعية التالية التي قالها قنبر وكانت سببا في ارجاع (آرزى) العروس الى بيت اهلها حيث قال قنبر :

هى گيده‌نلر گيده‌نلر
اكلنجه طوى ايده‌نلر
گره‌سن من آلمشم
عيرانيدن گيده‌نلر

ومعناها «ايها الذاهبون بالعروس ... لا تفرحوا بها فقد اخذتم الزبدة واخذتم انتم اللبن فقط» .

وحسب الرواية المتداولة في (داقوق) فان (آرزى) لا تؤخذ الى العريس اذ لا يكاد يسمع اهل العريس بهذه الرباعية حتى يسترجعوا العروس الى بيت اهلها ، فيأخذها (قنبر) ويسعد بها . ولكنها رواية ضعيفة لخلوها من الملامح الاسطورية التي تحتاجها الملحمة ، والتي لا تكتمل الا بها . لذلك صرفنا عنها النظر . واخذنا بالرواية الاخرى التي اوجزناها في مقدمة البحث .

الأدب الديني

كان للاتراك ، مثل جميع الاقوام التي عاشت في الحقب التاريخية السحيقة ، عقائد دينية يتمسكون بها ولا يرضون عنها بديلا . وقد قام المستشرق الروسي المعروف (سيروزوفسكي) بدراسات هامة تناول فيها قبيلة (الياقوت) التركمانية حيث بحث عن تشكيلاتهم الاجتماعية القديمة وتوصل الى وجود ملامح (طوطمية) في عقائد هذه القبيلة [1] كما وجدت لدى معظم القبائل التركمانية القاطنة فى آسيا الوسطى خليطا غير متجانس من العقائد المانوية والانيمية Animism والطبيعية Naturism وغيرها .

وكان ثمة رجال يديرون الامور الدينية في هذه القبائل يسمونهم (شامان) ، كانوا بمثابة رجال الدين عندهم ، لذلك سميت تلك المعتقدات بمجموعها بـ (الشامانية) . وكان الاتراك يطلقون اسماء مختلفة على الشامان الموجودين لدى القبائل التركية المختلفة منها «باقصى» ، «قام» ، «اوزان» ، «ويون» [2] وغيرها ، واضافة الى قيام الشامان بادارة الامور الدينية كانوا ينظمون العلاقات الاجتماعية لدى هذه القبائل . وكان لهؤلاء اعياد ومناسبات يهيئون فيها حلقات الذكر ، حيث كانت تأخذهم النشوة فيترنمون بقصائد شعرية تنتظم اسس العقيدة . لذلك كان هؤلاء يؤدون دور الشعراء ايضا ، اذ اعتبروا فيما بعد من

---

١ ـ ضيا كوك الب ـ ادبيات فاكولته‌سى مجموعه‌سى ص٤٥٨

٢ ـ نفس المصدر ص٢٦

اوائل الشعراء الذين نظموا باللغة التركية [1] . وقد كان الشعر التركماني القديم ـ بشكليه الغنائي والملحمي ـ متطورا قبل الاسلام ، بحيث كان صورة متكاملة عن حياة التركمان وتفكيرهم ومشاعرهم . وعندما انتشر الدين الاسلامي بين هذه القبائل في القرن العاشر الميلادي فقد الشامان مركزهم الديني ، ولكنهم حافظوا على مركزهم الادبي كشعراء . كان الدين الاسلامي الحنيف وما تضمنه من المبادىء السامية لخير الانسانية منطلقا للتركمان لتنظيم حياتهم الاجتماعية على اسس جديدة بعيدة عن حياة البداوة والعصبية القبلية التي كانت سائدة بينهم ، وكان تأثرهم بالثقافة الاسلامية ابعد واشمل من ذلك بكثير . اذ سرعان ما انشأوا تحت تأثير هذه الثقافة ادبا جديدا سمي بـ «ادب الديوان» لانه كان ادبا خاصا بسراة القوم من السلاطين والحكام والوزراء واتباعهم . اما الجماهير الشعبية فقد بقيت منعزلة عن هذه الحركة نتيجة جهلها للغتين العربية والفارسية التي كانتا عماد ادب الديوان ، فنهجت ـ تحت تأثير الدين الاسلامي ـ الى ابتداع ادب جديد يستمد جذوره من روح الدين الاسلامي الحنيف ويساير ادب التركمان الذي كان معروفا قبل الاسلام في اشكال النظم والوزن ، لذلك اعتبر هذا الادب وسطا بين الادب التركماني القديم والادب الذي نشأ بعد الاسلام . وقد نشأ هذا النوع من الادب خلال القرن الثاني عشر ، ويعد الشاعر احمد يسوى الذي عاش في هذه الفترة في آسيا الوسطى وساح في مناطق عديدة من الشرق الاوسط اول شاعر لهذا الادب الجديد .

---

[1] ـ عارف مفيد مانسال ـ اورتاچاغ تاريخى ص٢٤ وفؤاد كوبرليى تورك ادبياتى تاريخى ص٧٧

كما كان للطرق الصوفية التي انتشرت في هذه الفترة [1] اثرها الكبير في تطوير هذا الادب ، اذ صارت التكايا المحافل الادبية لهؤلاء الشعراء لذلك سمي هذا الادب بـ «ادب التكايا» ايضاء اما مضمون هذا الادب فيمكننا تلخيصه بما يلي :ـ

١ ـ العقائد الصوفية
٢ ـ العقائد العلوية والامامية ومدح الرسول
٣ ـ الرموز الحروفية
٤ ـ القصائد الغزلية
٥ ـ النكات البكتاشية .

اما من حيث الشكل فان القصائد الصوفية تسمى (الانفاس) وتلك التي تحوى العقائد العلوية والامامية (مدحية) ومدح الرسول تسمى (نعت شريف) والحروفية (رمزية) والغزلية (غزليات) .

ولقد كانت الحركة الفكرية في القرون الوسطى تتمثل في الاصلاح الديني حينما بدأت الاصلاحات الدينية المسيحية فأخذت بها المذاهب والمدارس الفكرية الاسلامية من المتصوفة والبكتاشية . ورغم ان هذه الطرق قد ارادت تنقية الدين الاسلامي من الشوائب التي غلفته ، غير انها ادخلت ـ عن وعي

---

١ ـ كـ «اليسوية» لمؤسسها الشاعر التركي المعروف احمد يسوى (١١٠٣ـ١١٦٦م) و «البكتاشية» التي وضع اسسها الحاج بكتاش ولى (المتوفى عام ١٢٧٣م) والذي هاجر من خراسان الى الاناضول اثر الغزو المغولي لايران . و «المولوية» لمؤسسها المفكر الاسلامي المعروف جلال الدين الرومي (١٢٠٧م ـ ١٢٧٣م) و «الصفوية» التي نمت وتطورت خلال القرن السادس عشر على يد احد احفاد الشيخ صفي الدين (المتوفى عام ١٣٣٤م) الذي اسس فيما بعد الدولة الصفوية في ايران ونقصد به الشاه اسماعيل الصفوى (١٤٨٧ـ١٥٢٤) ثم (الملامتية) و(النقشبندية) و(القلندرية) و(الخلوتية) وغيرها.

منها او جهل ـ شوائب اخرى ... ابعدت الدين الاسلامي عن اهدافه النبيلة . والمعروف عن البكتاشيين انهم يتحللـــون من فرائض الدين ولا ينفذون منها شيئا ويرون فيها مدعاة للسخرية والاستهزاء ، لذلك ضاعت معالم العلم والمعرفة عندهم ... لانهم لا يقرون دراسة الفقه الاسلامي والتقيد به . ولكن رغم ذلـك فلهم اجتهادات خاصة يتمسكون بها وينفذونها وكأنها من شعائر الدين الاسلامي الحنيف .

واذا كانت الحكومة العثمانية قدشجعت المتصوفة البكتاشيين لاغراض سياسية [1] نتيجة للنزاع التركي ـ الفارســـي فان الحكومة الفارسية كانت تشجع من جهتها الصـــفويين (الاثنى عشرية) [2] الذين كانوا مثل البكتاشيين لا يعترفون بالوسائط بين الخالق والعباد حتى ذهب بعضهم الى اعتبـــار علي بن ابي طالب «كرم الله وجهه» الها وقاموا بتقديم فروض الطاعـــة والايمان اليه . [3] وتتضح فلسفة البكتاشيين من نظرتهـم الى الوجود والى الانسان ذاته حيث يرون الحياة ملهاة ... وما على الانسان الا ان يرضى بواقعه ، وان يسلم امره للقدر . وتظهـر ذلك بوضوح في نكاتهم التي يتسامرون بها فمنها «ان احـدهم كان يغتسل عمامة تكاد الاوساخ تقطر منها فقال له احدهم : ايها الشيخ اعتن بنظافتك واغسل عمامتك ، فأجابه البكتاشي : سوف تتوسخ ثانية . فقال له الرجل : اغسلها مرة اخـــرى . فرد البكتاشي بلا مبالاة : سوف تتوسخ مرة اخرى . فقـال الرجل

---

١ ـ الدكتور يوسف عزالدين ـ الشعر العراقي فى القرن التاسع عشر ص٨٩

٢ ـ تمييزا لهم عن (السبعية) اي الاسماعيليين .

٣ ـ فرقة (على اللهية) الشعبية .

وقد نفذ صبره : يا هذا تغسلها مرة اخرى لتكون نظيفة . فاجابه البكتاشي بحدة : ايها الرجل ... هل جئنا للدنيا لغسل العمامات ...!!» . اما الانفاس الصوفية فكلها مدائح ومراث للائمة الاثنى عشر كما انها تتضمن اسس العقيدة والسبل التي يجب ان يسلكها المريد للوصول الى واجب الوجود . ويعتبر الشاعر التركماني العراقي «نسيمي البغدادي» الذي عاش في القرن الرابع عشر من شعراء ادب التكايا ومن زمرة الحروفيين . وكان شعراء القرن الخامس عشر والسادس عشر من التركمان ينظمون قصائد رائعة تعتبر من اروع ما كتب في هذا الادب ... حتى ان قصائد فضولي البغدادي ذاعت وانتشرت في جميع الاقاليم التركية .

وقد انتشرت معظم التكايا الموجودة الآن في القصبات والمدن والبلاد التي يقطنها الاتراك بعد القرن الثالث عشر الميلادي حيث اصبحت ندوات ثقافية يؤمها اتباع الطرق الصوفية كالبكتاشية والصفوية والمولوية والنقشبندية والقلندرية والخلوتية والحروفية وغيرها ، حيث يجتمع مريدو هذه الطرق في حلقات يستمعون فيها الى اسس الطريقة ويترنمون بالقصائد الصوفية او يتسامرون بالنكات البكتاشية . وتنقسم التكايا الموجودة في تلعفر وكركوك وتسعين وليلان وتازه خورماتو وبشير وداقوق وطوز خورماتو وكفرى وباقي القرى والقصبات التركمانية الى :

١ ـ التكايا البكتاشية
٢ ـ التكايا الصفوية
٣ ـ التكايا المولوية

وليس لدينا معلومات كافية عن زمن انشاء ومؤسس هذه

التكايا في العراق . غير انه يعتقد بان اكثرها قد انشئت في هذه الديار بعد الفتح العثماني . اما عن شعراء هذه التكايا فقد ضاعت آثارهم او تداركها النسيان ، وربما تكون قد اهملت لاعتقاد اصحابها بقلة اهميته او نظرا للسرية والكتمان المعروفين عن اصحاب هذه الطرق بالنسبة لعقائدهم وادبهم ، حيث لايظهرونها لاحد الا لاصحابهم من مريدى تلك الطرق . ولكن جولة شاملة في هذه القرى والقصبات قد تؤدى الى اظهار ما خفى من دواوين هؤلاء الشعراء مما سيكون له اعظم الاثر في دراسة الادب التركماني العراقي في هذه الفترة .

ورغم ذلك فقد وصل الينا اسماء بعض الشعراء الذين عاشوا في هذه التكايا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين كما عثرت على بعض القصائد الشعرية الخاصة بهم تلك التي كان يرددها مريدو هذه التكايا او عشاق هذا النوع من الادب منهم (كورعابش) و (شيتسچي محمود) في كركوك و (خليل احمد) و (علي خنيك) في بشير و (خلفه محمد علي) في تسعين و (رشيد احمد افندى) في داقوق و (محمد علي يوقد) في طرز و (خليل منور) و (ملا مصطفى) في كفرى وغيرهم . ورغم ان اكثر هؤلاء الشعراء قد اتخذوا من الحياة والعلاقات الاجتماعية مواضيع لقصائدهم الا انهم لم يتمكنوا التخلص من اعباء الاثر الديني في تلك القصائد غير ان شعراء القرن العشرين الذين تأثروا بأدب التكايا وترعرعوا في زواياها تمكنوا من احياء ضرب من اساليب النظم التركماني وهو ما يسمى بـ «داستان» ـ اى الشعر الملحمي ـ الذي ذاع صيته خلال القرن الخامس عشر . وقد وفق هؤلاء الشعراء الى نظم رباعيات تستمد تعابيرها من لغة

الشعب البسيطة ولكنها في نفس الوقت ليست سوقية ولا مبتذلة وانما تخاطب العاطفة وتثير في النفس مشاعر شتى ، تمتزج كلها بالوان من الطبيعة والحب والرحمة . واذا كان كل من الشعراء رشيد علي الداقوقي وعلي معروف اوغلو وناصح بزركان وحيدر قصاب اوغلو وحسن نجف وفلك اوغلو من شعراء هذه المدرسة الا ان مصطفى كوك قايا يعتبر امامها ومرشدها الروحي . ولازال هؤلاء يتحفون الادب التركماني بخرائد من نظمهم والذي يتراوح بين الشعر الديني والشعر الشعبي .

وثمة مناسبات دينية تقدم فيها صور من الادب الشعبي التركماني منها ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وليالي رمضان وعاشوراء وغيرها .

ولقد كان ميلاد الرسول الاعظم سنة ٥٧١ ميلادية حادثة كبرى في تاريخ العالم عامة والعرب خاصة . وقد جرت العادة ان تحتفل الشعوب بذكرى النابهين من ابنائها الا ان العرب لم يحتفلوا في صدر الاسلام بمولد الرسول [١] . وكان الفاطميون اول من جعلوا ميلاد الرسول عيدا واحتفلوا به احتفالا رائعا جدا في (١٢) ربيع الاول وكان خاصا بالخليفة واتباعه من الوزراء والامراء وافراد الحاشية فقط . [٢]

اما في الدولة العثمانية فقد جرى اول مراسيم المولد النبوي الشريف ايام السلطان مراد الثالث سنة ١٥٨٩ ميلادية . [٣] وكان اول من نظم المولد النبوي الشريف باللغة التركية هو قاضي القضاة سليمان جلبي (المتوفى سنة ١٤٢١م) حيث انتهى من

١ ــ محمد قنديل البقلي ــ صور من ادبنا الشعبي ص٩١
٢ ــ احمد آيموطلي مولد شريف ص٤٧
٣ ــ نفس المصدر ص٤٨

نظمه سنة «٨١٢ هجرية ـ ١٤٠٩م» [١] . وقد نظم ما يقارب الـ (٣٠) شاعرا مواليد مماثلة ، الا ان منظومة سليمان جلبي تفوق جميعها من حيث النظم والشكل لانها موضوعة بلغة الشعب البسيطة وبشعور فياض مما اضفى على الاثر جلالا وقدرا وانتشارا في اوساط الشعب [٢] ، حيث انتشر في جميع الاقاليم الاسلامية في عهد الدولة العثمانية [٣] .

وفي العراق جرت مراسيم المولد النبوي الشريف لاول مره من قبل مظفر الدين حاكم (اربل) وذلك سنة ٦٠٤ هجرية (١٢٠٧م ـ ١٢٠٨م) [٤] حيث ذكر المؤرخ لتركي طيار زاده عطا ، ما يلي حول ذلك [٥] «ان مظفر الدين كان يقيم في شهر رمضان من كل سنة مولودا فخما رائعا يدعو اليه جميع الفقراء والمشايخ والشعراء وعلماء الكلام وكان كل واحد منهم يشنف آذان السامعين بروائع النظم والنثر ثم كانت توزع المأكولات على الجميع ، وكان يقدم فيه مالذ وطاب من الاكل والشراب ... وكانت هذه المراسيم تقام في جميع الولايات العثمانية مصر ، شام ، حلب ، بغداد ، حجاز ، قدس ، يمن ، جزيرة العرب ، وحتى في بخارى وافغانستان وكشغر [٦] . ولا زال التركمان في العراق يقيمون حفلات المولد النبوي الشريف في مناسبات الزواج والختان وعند ابلال المريض والرجوع من الحج ، حيث تقرأ

---

١ ـ ابراهيم علاء الدين ـ تورك مشهورلرى ص ٢٥٩
٢ ـ احمد آيموطلي ـ مولد شريف ص٢١
٣ ـ ابراهيم علاء الدين ـ تورك مشهورلرى ص.٣٦٠
٤ ـ ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ج١ ص.٦٢٠
٥ ـ طيار زادره عطا ـ تاريخ عطا ج١ ص٢٣٤ـ٢٤١ طبعة استنبول ١٢٩١ هـ
٦ ـ احمد آيموطلى ـ مولد شريف ص ٤٨

منظومة سليمان جلبي وقصائد يونس امره والمدائح النبوية وغيرها . اما في شهر رمضان المبارك فبالاضافة الى الولائم التي تقام في البيت يقدم الاكل في الجوامع والتكايا الى الفقراء والمعوزين ويتغنى الناس به وبفضاله :

لقد اتى شهر رمضان
فدعني لاكتب عن فضائله
تلك الليالي التي نقبل فيها على البيوت
وفي ايدينا قدور وجفاجير .

و :

لقد اتى شهر رمضان
فاخذ الملالي بالآذان
الا تبا لتلك اليد التي
كتبت حبيبي للجندية .

ومن النكات البكتاشية المروية عن رمضان والعيد هذه النكتة :

«يحكى ان احد البكتاشيين كان مسافرا بين قرية واخرى وفي الطريق صادفه رجلان فاعترضاه وسلباه متاعه ، فلم يحرك البكتاشي ساكنا لكنه في الاخير سأل عن اسميهما فقط فقالا : وما شأنك باسمنا . قال : اريد ان احتفظ بهما كذكرى لهذه الحادثة الطيبة . فقالا له : وهل هذه حادثة طيبة ؟ فرد عليهم بالفلسفة المعروفة عن البكتاشيين : نعم .. لانكم انقذتموني من حمل كبير ناء به كاهلي . فقالا له : ان اسميا رمضان وبيرام [1] ثم ضرباه كثيرا وانصرفا . وصادف ان وصل البكتاشي الى القرية الثانية وقت الغروب فلم ير بدا من المبيت في احدى التكايا

1 ــ بيرام : تعني العيد باللغة التركمانية

الموجودة فيها . ولما دخل وجد احدهم يعدد فضائل رمضان والعيد فما كان منه الا ان نهض وهتف به قائلا : «الا كف عن الكلام عن هذين الشخصين ... اذ لم ار في حياتي من هو أسوأ منهما ، فبعد ان سرقا ملابسي اشبعوني ضربا وركلا» فكانت نكتة بارعة في حينه . ولعل ايام عاشوراء «من ١ محرم حتى ١٠ منه» من الايام الحافلة التي يهتم بها التركمان من طائفة الشيعة خاصة والمسلمين عامة ، حيث تقرأ انباء المعارك الدامية التي دارت بين جيش حسين بن علي بن ابي طالب (رض) وبين قوات يزيد بن معاوية ، وتبلغ الذروة في اليوم العاشر (عاشوراء) حيث يقتل فيه الامام حسين مع البقية الباقية من اتباعه المخلصين . وقد اصبحت هذه الفاجعة التي ألمّت بالعالم الاسلامي مدارا لكثير من القصائد ، حيث اتخذها الشعراء وسيلة ينفسون بها عن ثورتهم تجاه المظالم والمفاسد التي اصبح العراق مرتعا خصبا لها ، كما وجدوا في هذه المأساة حافزا لتحقيق امالهم والتنفيس عن آلامهم وكذلك للتقرب الى الله تعالى ، وبذلك حققوا غايتين كان يتوق اليهما أنفسهم . وكانت المناحات التي تقام كل عام في ذكرى استشهاد الحسين (رض) ميدانا يتبارى فيه الشعراء في نظم القصائد في رثاء الشهيد الخالد ، وتعداد مآثره البطولية ، والتطرق ـ خلال ذلك ـ الى مفاسد الحكم ومظالم الحكام اولئك الذين جعلوا من العراق ـ في تلك العهود ـ مرتعا للفساد الاجتماعي والسياسي . ويتصف هذا الشعر بصدق العاطفة وبالاحاسيس الفياضة في اسلوب رائع مؤثر . فهذه قصيدة تصور الحسين الشهيد وقد جثم (شمر بن ذى الجوشن) على صدره الجريح بعد ان وقع مثخنا بالجراح يطأ صدره الكريم

الذي ينبض فيه ذلك القلب النبيل الذي خفق بالشرف والكرامة. وها هو ذا صاحبه يضحي بنفسه من اجل اهدافه التي خفق بها ذلك القلب الكبير . اننا نرى حسين الشهيد ـ حتى في هـــذا الموقف من خلال القصيدة ـ في صورة البطل الذي لا يهـــاب الموت وانما يؤلمه ان تطأ قدما ذلك المجرم الاثيم صدره ... ذلك الصدر العامر بالايمان بقضيته وحقه في الدفاع عنها ، فيأمره ان ينهي حياته ... ولكن اللعين يستمرىء عذابه ويبقى جاثما على صدره الى ان ينهي حياته بالشكل المعروف .

حيث يقول :

لا تطأ ايها الظالم
صدرى الذي يخفق فيه القلب
موطن الحق الذي يكمن فيه غرض الاله
لقد غدا جسمى صورة روحى
التي ارى فيها الرحمن
فتأمل ايها الظالم ، فهل
ظننت موطن العز خاويا ..؟!
كلا ... ان فيه عظيم العظماء
لقد كانت عقيدتي سبيل الحق
لذلك لم اكترث للمهالك
فاصبح صدرى موئل العشق
الذي يكمن فيه فارسه
فاذا كان قصدك جز راسي
فهلا يكون هذا الامر العظيم دون التعذيب
ام تنوى تمزيق هذا الصدر الذي
تجلت فيه قبلة الكائنات
لا تلوث بقدمك الآثم
موضع قبلة الزهراء
فيتألم من ذلك مالك الملك
لان فيه ملك العدل امير الواحد القهار

ان المكان الذي تطأه يوازي المسجد الاقصى
فلا تضع في بيت المقدس لوث القدم
لا تطأ باب توحيد الكعبة ياعبد الصنم
لان فيه زبدة الاسرار الالهية
لم تدع (اكبر) و (اصغر) لاستقاء شربة ماء
بينما ينساب للصحراء الفرات مثل دمائي هباء
فليبق حسابنا ليوم المحشر
اذ يسوى فيه حساب الابرياء

اما المراثي التي يرددها المحتفلون في ليالي عاشوراء او في اليوم العاشر واثناء المسيرة التي ينظمونها فان معظمها لشعراء التكايا الاذربايجانيين امثال صراف وقومرز وصافي . كما ان بعض شعراء التكايا من التركمان قد نظموا هذه المراثي ولكن لم يذكروا فيها اسماءهم .

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
المقدمة	٢	ذلك	وذلك
٦	الهامش	لم يهائى	لم يهالىء
٣٣	٢	عيرهم	وغيرهم
٣٥	هامش	بستان سعيدى	بستان سعدى
١٥٢	٥	القرن السابع عشر	القرن السادس عشر

وثمة اخطاء اخرى في الكتاب لا تخفى على القارىء اللبيب .

المراجع

١ ـ العربية :

١ ـ ادب الشعب	حيرم الغمراوى
٢ ـ اساطير من الشرق	سليمان مظهر
٣ ـ الف ليلة وليلة	سهير القلماوى (دكتوره)
٤ ـ البطل في الاساطير والادب	شكرى محمود عياد
٥ ـ تاريخ الامم والملوك	الطبرى
٦ ـ تاريخ الادب التركى	حسين مجيب المصرى
٧ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية	بارتولد
٨ ـ تاريخ العراق بين احتلالين	عباس العزاوى (المحامي)
٩ ـ تاريخ التركمان في العراق	شاكر صابر (الضابط)
١٠ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية	كارل بروكلمان
١١ ـ جحا	عبدالستار فرج
١٢ ـ جحا الضاحك المضحك	عباس محمود العقاد
١٣ ـ سلاجقة ايران والعراق	عبدالمنعم حسنين (دكتور)
١٤ ـ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر	يوسف عزالدين (دكتور)
١٥ ـ صور من ادبنا الشعبي	محمد قنديل البقلي
١٦ ـ فضولي البغدادى	حسين محفوظ (دكتور)
١٧ ـ فنون الادب الشعبي	احمد رشدى صالح
١٨ ـ قصة الحضارة	ول ديورانت
١٩ ـ مباحث عراقية	يعقوب سركيس
٢٠ ـ مجتمعنا	عبدالحميد يونس (دكتور)
٢١ ـ المغول فى التاريخ	فؤاد عبدالمطى الصياد (دكتور)
٢٢ ـ المقام العراقي	هاشم الرجب (الحاج)
٢٣ ـ نشاة الدين	علي سامي النشار
٢٤ ـ نوادر جحا الكبرى	حكمت بك شريف
٢٥ ـ وفيات الاعيان	ابن خلكان

٢ ـ التركية :

١ ـ آرزو ايله قنبر	محرم زكى كوركونال
٢ ـ اسكى استنبول ياشايشى	مصاحبه زاده جلال
٣ ـ اورتا چاغ تاريخى	عارف مفيد مانسال
٤ ـ بورصه فولكلورى	فاضل يئيسه‌ى
٥ ـ تورك أدبياتى	آگاه‌سرى لاوند
٦ ـ تورك أدبياتى	عبدالرحمن نيسارى
٧ ـ تورك أدبياتى	محمد فؤاد كوپريلى
٨ ـ تورك أدبياتى	محمود قره‌جان
٩ ـ تورك ادبياتى	وصفى ماهر قوجاتورك
١٠ ـ تورك افسانه‌لرى	انور بهنان شاپوليو
١١ ـ تورك انسيكلوپه‌ديسى	
١٢ ـ تورك ديلى وأدبياتى	كمال دميرآى ومصطفى اوزون
١٣ ـ تورك شهرندن أورنكلر	باقى سها أديب اوغلو
١٤ ـ تورك لغتى	حسين كاظم قدرى
١٥ ـ تورك مشهورلرى انسيكلوپه‌ديسى	ابراهيم علاء الدين
١٦ ـ مولد شريف	احمد آيموطلى
١٧ ـ مفصل تورك تاريخى	م . شمس الدين
١٨ ـ نامق كمال	حكمت دزدار اوغلو

٣ ـ التركمانية :

١ ـ كركوك خوريانلرى ومضيارى	عطا ترزى باشى
٢ ـ كركوك منتخب خوريانلرى	ملا صابر محمد
٣ ـ كركوك خوريانلرى	عثمان مظلوم
٤ ـ كركوك هوالرى	عطا ترزى باشى
٥ ـ عراق تركمانلرى آغزينده آتالار سوزى	شاكر صابر ضابط

٤ ـ الاذربيجانية :

١ ـ اذربيجان ناغيلارى	م . طهماسب
٢ ـ خاق داستانلارى	مهريماه آخوندوف
٣ ـ ليلى ومجنون ـ مقدمه	پروفيسور حميد آراسلى

obeikandl.com

محتويات الكتاب

الفصل الاول ـ التركمان فى العراق ـ الادب التركماني ـ اللهجة التركمانية ـ فنون الادب الشعبي التركماني .

الفصل الثاني ـ الادب الشعبي مجهول المؤلف :
القصص الشعبية (دور الخوارق والمرأة والحيوان في هذه القصص) ـ الاساطير ـ الاغاني الشعبية (اغاني ـ الاساطير ـ الاغاني الشعبية (اغاني المناسبات والعمل . أغاني الاطفال ـ الخوريات) الامثال والحكم الشعبية ـ النوادر ـ والفكاهات ـ دراسة شخصية جحا ـ الالغاز ـ البكائيات ـ الاصطلاحات الادبية ـ المسرح الشعبي .

الفصل الثالث ـ الادب الشعبي معروف المؤلف :
السير الشعبية (نماذج من السير الشعبية ـ كوروغلو ـ ارزى قنبر) الادب الديني .